

المستخلص

زينب عبد الأمير. أساليب التعبير عن (عن الخسران) في القرآن الكريم (أطروحة
دكتوراه) .- بغداد : الجامعة المستنصرية : كلية الآداب : القسم اللغة العربية ، ٢٠١٠

في كثير من الأحيان يقدم الإنسان أعمالاً يظن فيها الربح والفوز؛ لكنّها تورده موارد الهلاك والخسارة؛ لذا خصصنا هذه الدراسة في بيان مفهوم الخسران، من أجل التغيير، وبناء وعي إيماني معرفي لما من شأنه أن يوقع الإنسان في تلك المخاطر والخسائر وهو في غفلة عنها. لقد قامت فرضية الدراسة على استقراء هذه الموضوعات في التعبير القرآني ولملمة أبعادها بشمولية تهدف نحو التأسيس لأنماط الخاسرين، والبواعث التي أفضت بهم نحو الخسران، فضلاً عن أنماط خساراتهم المختلفة ضمن البعد الموضوعي، بوساطة التحليل الدلالي الذي يقوم بعرض الدلالات الحسية، وتطورها بحسب الاستعمال القرآني، وعرض ما قيل في كتب المعاجم والتفسير عبر منهج يتسم بعرض الآراء ومناقشتها وتحليلها وترجيح الصائب منها؛ اعتماداً على ورود الكلمة في السياقات القرآنية المختلفة، أي أننا نوجه البعد الدلالي للألفاظ من خلال الاستعمال القرآني لها، وليس من خلال ما قيل عنها خارج النص القرآني مع اهتمامنا بعرض معانيها الحسية والفرعية والمجازية التي أصبحت بفعل التطور الدلالي معانٍ أصلية معجمية. فأهمية الدراسة تكمن في محاولتها جمع أبعاد الموضوع في القرآن الكريم كله ودراسته دراسة دلالية أسلوبية تكشف عن سر من أسرار إعجازه الذي لا ينضب من حيث دقة الدلالات المستعملة، وتنوعها وكثرتها مما يوهم بوقوع الترادف فيه عبر المبدأ الأسلوبى المسمى بالاختيار. فضلاً عن استعمال مبدأ آخر من مبادئ الأسلوبية وهو ما يعرف بالعدول أو الانزياح أو الانحراف عبر المستوى التركيبى للنص، مما يفضي إلى الكشف عن البعد الجمالي والإبداعي في أسلوبه، من خلال انسجامه مع المستوى الدلالي وتأثيره في تحديد الدلالة المقصودة.

ولا بد من الإشارة إلى أنّ هناك الكثير من الدراسات سواء في كتب التفسير أو غيرها تناولت عذابات الإنسان وخسائره في القرآن الكريم؛ لكن لم تكن هناك - على حد علمي - دراسة أكاديمية متخصصة تتناول قضية الخسران في القرآن الكريم ببواعثه وأنماطه وأساليب التعبير عنه؛ فكان هذا مسوغاً آخر لي لاستكمال الدراسة على وفق منهج يتخذ مبدأ الرؤية الشمولية أساساً له من أجل الوصول إلى نتائج شاملة وواقية.

وارتأيت أن تكون دراسة الدلالة المختصة بأنواع الخسران دراسة فنية - لمحدودية الألفاظ التي تمثلها، بعكس الألفاظ الدالة على البواعث -، وبهذا أفدت من المنهج الأسلوبى في دراسة أنواع الخسران عبر مبدأ العدول في استعمال الصيغ والألفاظ بوصفه ظاهرة أسلوبية هامة في التعبير القرآني؛ فضلاً عن دراسة اثر الإيقاع الصوتي في رسم دلالات الأسلوب الدال على الخسران عبر المستوى الصوتي.

ولا بد من الإشارة إلى أنّ إفادتي من هذه المناهج كان بالطريقة التي تستوحى روح المنهج بما تستوجبه خصوصية النص المدروس، وطبيعة المادة المكونة له بالشكل الذي يدفع تلك الخصوصية إلى انتقاء ما يلائمها من أدواته، من دون أن يكون المنهج قيدياً إجرائياً لدى من يرغب في إعطاء نتائج معدة سلفاً.

لذا قمت بتصنيف الدراسة إلى مقدمة ، وثلاثة فصول، أهتم الفصل الأول بمناقشة مصطلح الإعجاز القرآني من خلال استقراء وتقييم فكرة الإعجاز عند القدماء والمحدثين، ولم أرَ ما يماثل هذا التوجه في الدراسات السابقة ، إذ اكتفى معظم الباحثين بعرض أفكار القدماء فحسب أو مناقشتها بشكل جزئي ، من دون أن يُعَنِّوا برسم خريطة فكرية تناقش إشكالية المصطلح وسير تطوره ، وأوضحت أن معظم دراسات الإعجاز قامت في رؤيتها على وفق منهجين رئيسيين ، هما المنهج السياقي الذي يعزو الإعجاز لأشياء خارج النص القرآني والمنهج النصي الذي يقصر الإعجاز على النص نفسه .

في حين اختص الفصل الثاني بإحصاء بواعث الخسران في التعبير القرآني ودراسته دراسة دلالية عبر محورين رئيسيين، ركزت في المحور الأول على بيان الأفعال السلبية وأثرها في اختلال اليقين عند الإنسان، مقسمة إياها إلى نوعين: الأفعال السلبية المحضة تمثلت بخمسة مظاهر وهي) الخروج عن الشرعية الإلهية بالإنكار والتكذيب ، التجاوز للتكذيب ، الاستعلاء ، أمراض القلب والنفوس) . والأفعال السلبية غير المحضة ، تمثلت بمظهرين هما(مظاهر الضحك السلبى ومظاهر الضعف السلبى).

وقمت في المحور الثاني بوضع خريطة دلالية تكشف عن أنماط الذنب وأساليب ارتكابه، بالشكل الذي يبين لنا قوة كل ذنب واختلافه عن الآخر، إذ كشفت هذه الخريطة اختلاف العقوبة تبعاً لدرجة الذنب.

كما بينت مجموعة ألفاظ توحى بأساليب ارتكاب الذنب (كالاكتساب و الارتكاب والاحتمال والاقتراف والعمل والصنع) .

أما الفصل الثالث فقد عُنِيَ ببيان أنماط الخسران في التعبير القرآني ، سواء ما جاء منها على وفق صيغة (خسر ومشتقاتها) ، وهذا ما أسميته ب (ألفاظ الخسران الخاص)، أو ما جاء منها على وفق صيغ مختلفة أسميتها ب(ألفاظ الخسران العام)، وقد قسمتها إلى ثلاثة أقسام رئيسية : الخسارة الدنيوية ،تمثلت في (تعطيل الحواس ، الترك والتأخير، الإحباط،الإهلاك) . والخسارة المشتركة بين الدنيا والآخرة، وهي في جلها خسارات مادية ومعنوية عبر الإهانة والألم النفسي.

والخسارة الأخروية المتمثلة بعذابات جهنم المختلفة، وهذا ما تضمنه المحور الأول ؛ فضلا عن المحور الثاني الذي أفردت فيه دراسة لأبرز الظواهر الصوتية في الخطابات الدالة على الخسران مشفوعة بتحليل فني لسورة الفجر يبين مدى إيحائية المستوى الصوتي في تشكيل الدلالة وأتممت هذه الفصول بخاتمة عرضت فيها أهم النتائج التي توصلت لها، فضلا عن قائمة المصادر والمراجع التي أفدت منها في عموم الدراسة .

وقد توصلت من خلال الرحلة الطويلة تلك إلى جملة من النتائج المهمة التي أعطت الدراسة ثقلها العلمي والمعرفي ، فأرجو أن تسد مكانا هاما في مكتبة الدراسات القرآنية ، لأنها أشبه بمعجم دلالي فني مختص بموضوع الخسران في القرآن الكريم.